

شرح كتاب التوحيد ٢

معالي الشيخ صالح الفوزان
حفظه الله تعالى

اعتنى به طالب في البناء العلمي

الرقم الأكاديمي ٢١٠٧

النسخة الإلكترونية الأولى

الدرس الرابع

أخي طالب العلم إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهّل إخراج نسخة مصححة

atafreegh@gmail.com

اسم المقرر: كتاب التوحيد ٢ رمز المقرر: ١١٣

المستوى الدراسي الثالث

١٤٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع

٤٨ - بَابُ

مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

[١] وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

[٢] عن ابنِ عَمَرَ، ومحمَّد بنِ كَعْبٍ، وزيد بنِ أسلم، وقتادة - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ -؛ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرَعَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أُجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ - يَعْنِي الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ -، فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لِأَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ، وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ، قَالَ ابْنُ عَمَرَ: كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْهِ مَتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فيقولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَائِيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: - وَهِيَ الْعَظِيمَةُ - أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهِذَا فَهُوَ كَافِرٌ.

الثانية: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ آيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

الثالثة: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

الرابعة: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَبَيْنَ الْغُلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ.

الخامسة: أَنَّ مِنَ الْإِعْتِدَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ)، معنى الهزل الانتقاد والسخرية، (بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ)، إما اسم الله جلّ وعلا، وإما الأذكار، كتب الأذكار الشرعية التي فيها تعظيم الله سبحانه وتعالى، وأعظم ذلك القرآن الكريم؛ فإن هذا ردّة عن دين الإسلام، كما يأتي في هذا الباب.

(وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

عن ابنِ عمَرَ، ومحمّد بنِ كعب، وزيد بنِ أسلم، وقَتادة - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ -؛ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ - يَعْنِي الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَاءَ)

في هذا الباب ذكر دليل هذه الترجمة، وهي أن رجالاً من المنافقين قالوا في غزوة تبوك وهي آخر غزوة لرسول الله ﷺ قبل تبوك، في شمال الجزيرة، تبوك بعيدة عن المدينة، شمالي المدينة، وقد بلغ النبي ﷺ أن المشركين الروم يعدون لغزو المسلمين، وكان ذلك في وقت الحر، وقت الصيف، شدة الحر، ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، والمسافة بعيدة بين المدينة وتبوك، ووقت مطيب الثمار.

فخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار لغزو الروم، والمنافقون تخلفوا وقالوا لا تنفروا في الحر، قال الله جلّ وعلا: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة]، فهذه الغزوة فيها امتحان لأهل الصدق والإيمان.

خرج رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار نحو هذه الغزوة، تخلف المنافقون، وقالوا: لا تنفروا في الحر، جلس أناسٌ من ضعاف الإيمان ومن المنافقين يتحدثون، وقالوا: (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ)، يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان معهم فتى شابٌ من المؤمنين، فأسرع إلى الرسول ﷺ وأخبره بمقاتلتهم.

ثم إنهم جاؤوا يعتذرون إلى الرسول ﷺ عما قالوا، فوجدوا الوحي قد سبقهم، ونزلت الآية: ﴿ وَلَا يَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة]، فكانوا ممسكين بناقة الرسول ﷺ ويعتذرون إليه، ولا يلتفت إليهم، ولا يزيد عن تلاوة هذه الآية: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾.

فالله جلّ وعلا حكم عليهم بالكفر لهذه المقالة، ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فدل ذلك على أن من هزل أي استهزأ بشيء فيه ذكر الله، أو الرسول أو القرآن، أنه قد كفر بعد إيمانه.

(فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَّبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ) هذا هو الشاب المؤمن الذي كان معهم في المجلس.

(وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لِأَخْبَرَنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ) وجد القرآن قد نزل على الرسول ﷺ بخبر هؤلاء، والحكم عليهم، قبل أن يصل هذا الشاب إلى النبي ﷺ؛ لأن الله -جلّ وعلا- يعلم ويسمع مقالتهم.

(فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ، وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوِضُ وَنَلْعَبُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ).

نعم، جاء يعتذر، إنما نخوض في الحديث فيما بيننا، ولا نقصد شيئاً من معناه، ويعتذر إلى الرسول ﷺ، ولكن الله -جلّ وعلا- أنزل كفرهم بهذه المقالة، وعدم قبول معذرتهم.

(قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ).

نعم، الحجارة التي تثير أخفاف الناقة، تصيب رجلي هذا الذي يعتذر إلى الرسول ﷺ، وهذا تأكيد للرواية، وذكر للمشهد الذي حصل، والرسول لا يلتفت إليه، ولا يزيد أن يتلو عليه الآية.

(وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخْوِضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَبَلِلَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾).

دل على أنهم فيهم مؤمنون، قد ارتدوا بهذه المقالة، فدل على أن من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو الرسول، أو القرآن، أنه يرتد بذلك عن دين الإسلام.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: - وَهِيَ الْعَظِيمَةُ - أَنَّ مَنَ هَزَلَ بِهِذَا فَهُوَ كَافِرٌ).

هزل، يعني استهزأ بشيء من هذا، من الرسول أو القرآن، أو ذكر الله -عزّ وجلّ-، فهو كافر ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، دل على أنهم كانوا مؤمنين، وليسوا منافقين، كانوا مؤمنين فارتدوا بهذه المقالة.

(الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَن كَانَ).

الآية وإن كان سبب نزولها خاصاً بهذه القضية، إلا أن حكمها عامٌ لكل من صدر منه شيء من الاستهزاء بالله، أو بالرسول، أو بالقرآن، أو بشيء فيه ذكر الله -جلّ وعلا-.

(الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ).

الفرق بين النميمة، الرجل الذي راح يخبر الرسول ﷺ ليس نامياً، وإنما أراد النصيحة لله ولكتابه ورسوله، فهو ليس يقصد النميمة عند الرسول هؤلاء، وإنما يقصد النصيحة، ففيه فرق بين النميمة والنصيحة، النميمة حرامٌ، والنصيحة واجبةٌ.

(الرابعة: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ). نعم، أن الرسول ﷺ ما لان معهم كعادته ﷺ، وإنما غلظ عليهم، غلظ عليهم عقوبة لهم، وكان لا يلتفت إليه، ولا يزيد على أن يتلو عليه الآية، فهذه غلظة في حق من فعل هذا، فدل على أنه يُغلظ عليه، ويُشدد عليه في الإنكار.

(الخامسة: أَنَّ مِنَ الْإِعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ).

نعم، الاعتذار إذا كان عن شيء من هذا النوع، وهو الاستهزاء بشيء فيه ذكر الله، أو الرسول، أو القرآن، أنه لا يُقبل الاعتذار في ذلك.

سؤال: فضيلة الشيخ، بعض الناس يخوض في بعض الآيات، أو بعض الأحاديث، ويقول: أنا لا أدري، وهذا قصدي، هؤلاء الذين يخوضون يا فضيلة الشيخ، ثم يعتذرون.

لا يجوز الخوض في آيات الله، وأحاديث رسول الله ﷺ بغير علم وبصيرة، ولا يجوز الخوض فيها ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام]، فلا يجوز الخوض في آيات الله كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لا يجوز الخوض فيها بغير علم.

نختم هذا اللقاء، ونذكر للإخوة والأخوات في هذا الدرس، أبرز الدروس المستفادة من هذا الباب.

كما سبق، وكما بينه الشيخ في الترجمة وفي المسائل: تعظيم ذكر الله عز وجل، وتعظيم القرآن الكريم، تعظيم سنة الرسول ﷺ؛ لأنهما وحي من عند الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز الاستهانة بهما، والخوض فيهما بغير علم، وغير صدق؛ لأن ذلك خطر على الدين، وردة عن الإسلام.